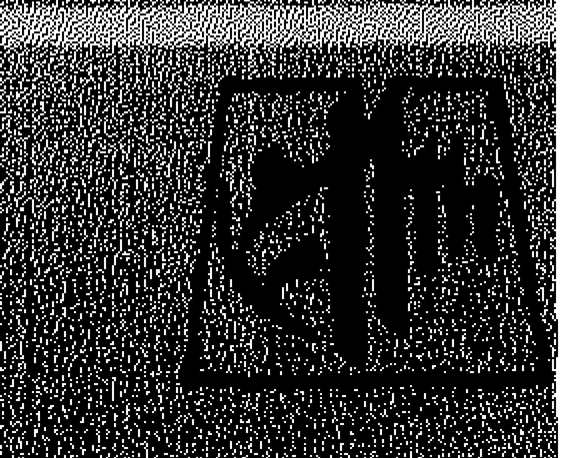
آفاق الاستثمار الثقافي في إفريقيا

دعوة لمساهمة رأس المال العربي

الدكتور
كمال محمد عبيد

إصدارات
هيئة الأعمال الفكرية



هيئـــة الأعمـــال الفكرية

INTELLECTUAL WORKS FOUNDATION

Sudan - Khartoum	السـودان - الخـرطوم
Tel : 0183 - 571437	تلفون : ٥٧١٤٣٧ - ٠١٨٣
Fax : 0183 - 571438	فاكس : ٥٧١٤٣٨ - ٠١٨٣
Address : Amarat St. No. (35)	المقر : العمارات شارع (٣٥)

ص ب : ١٢٠٠١

الرمز البريدي : ١١١١١

الموقع على الإنترنت : www.fikria.org

بسم الله الرحمن الرحيم

هيئة الأعمال الفكرية

آفاق الاستثمار الثقافي في إفريقيا

(دعوة لمساهمة رأس المال العربي)

الدكتور
كمال محمد عبيد

اسم الكتاب : آفاق الاستثمار الثقافي في إفريقيا
(دعوة لمساهمة رأس المال العربي)
اسم المؤلف : الدكتور/ كمال محمد عبيد
الناشر : هيئة الأعمال الفكرية
الطبعة : الأولى
سنة النشر : ٢٠٠٤م

المحتويات

مقدمة

إن أشرف الأعمال وأبركها دعوة الناس إلى الخير، وخلاصة الخير تتمثل في معرفة الله عز وجل عبر وسائط المعرفة المختلفة، عن طريق العقل والنقل والوجدان. وقد قامت دعوة الإسلام على دعامة علمية راسخة البنيان، كان مبتدأها ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق/ ١) ومنتهاها ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ (المائدة/ ٣). وبين المبتدأ والمنتهى وردت آيات التفكر في الأنفس والآفاق والنظر في عبر السابقين وأحوال المعاصرين والتبصر في مآلات الآخرة. ولم تحط حضارة بمعرفة الماضي والحاضر والمستقبل، مثلما أحاطت حضارة الإسلام، التي ظلت مهتدية بنور القرآن والسنة واجتهاد علماء الأمة.

إن أمتنا التي صدعت لقول الحق عز وجل ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (يوسف /١٠٨)" اتخذت من مؤسسات العلم والثقافة مصدراً لتنوير البصائر، وجعلت من حلقات الدرس، وكتابة المخطوطات، وأدوات البحث معينات للعلماء وطلاب العلم لتجويد الأداء الدعوى وتقوية الحصيلة المعرفية، وفوق هذا وذاك لم تتخلف المؤسسات المعرفية والثقافية عن حاجات المجتمع أبداً. وقد ظلت بالمقابل هذه المؤسسات جزءاً أصيلاً من المجتمع وحركته، حيث ظل أفراد المجتمع بمختلف أحوالهم وأنواعهم

وأعراقهم وأعمارهم أعضاء فاعلين في مؤسسات العلم والثقافة، يتلقون علومها، ويقدمون لها ما يلزم من خدمات، ويوقفون لها من كرائم أحوالهم الأوقاف المتخصصة للطلاب (سكنهم ومعاشهم وملبسهم) ولطالب العلم (رحلته وراحلته) ولمؤسسات التعليم والثقافة (بناءها وأسراجها وكنسها).

إن أمتنا اليوم بحاجة إلى إحياء تراثها المشرف تجاه الثقافة ومؤسساتها آخذين بما مضى من فقه، ومحدثين ما يحتاج عصرنا من تدابير في إدارة المال وتثميره في مجال الخير تعليماً ونشراً وبحثاً وتطويراً لكافة مجالات المعرفة، بما يعود على المجتمعات والمستثمرين معاً بالنفع العميم والخير الوفير.

ولئن كان الاستعمار بسطوته وقدراته المادية التي بسط بها نفوذه وجوداً عضوياً في حقبة ماضية، ثم وجوداً معنوياً يوشك أن يعود عضوياً مرة أخرى. فإن الميزة التي تتمتع بها أمتنا في الصمود إزاء الهجمة والقيام بعد العثرة يجعلها أهلاً لمواجهة مخططات المستعمر. وقد تجد في مقترحنا هذا دعوة لتفكير جاد في مساهمة رأس المال العربي في تطوير مؤسسات الثقافة في إفريقيا بما يحقق للأفارقة تقدماً ثقافياً يناسب قيمهم وأخلاقهم، ويضمن للمستثمرين عائداً يناسب جهدهم ورجاءهم، غير مستبعدين المخاطر التي قد تواجه أي استثمار مهما كانت دوافعه وأياً كانت مجالاته. ونحن إذ نقدم هذا المقترح، لا ندّعي له

كمالاً، ولكن نرجو أن يجد من يهتم به فيسد نقصه ويكمل خلله ويحيله واقعاً يفضي إلى واقع جديد في إفريقيا يربط حاضرها بماضيها، ويجعل غدها جزءاً من أشواقها. وليست هذه الورقة دراسة جدوى تفصيلية ولكنها تعطي مؤشرات عامة لما يجب أن تجده إفريقيا من اهتمام عربي، ليس في مجال الإغاثة والدعم - وهو أمر قد اضطلعت به منظمات المجتمع المدني منذ مطلع ثمانينيات القرن الماضي - ولكن في مجال الاستثمار والمشروعات ذات العائد . ومثل ما بدأ نشاط المنظمات بدعوة عامة، نأمل أن تكون هذه دعوة عامة لنشاط استثماري في مجال الثقافة والتعليم والإعلام.

والله من وراء القصد هادياً ومعيناً ،،،،،،،،

د. كمال محمد عبيد

الخرطوم غرة محرم ١٤٢٥هـ

الموافق ٢١ /فبراير/ ٢٠٠٤م .

الفصل الأول

خصوصية الاستثمار في مجال الثقافة

إفريقيا أرض بكر، ما زالت أجزاء واسعة منها لم تستغل ولم تستثمر، والدارس لمخططات الدول الكبرى يلحظ عدم الاهتمام بإحداث أية تنمية في أفريقيا، بل ويلحظ حملة التجهيل المتعمدة التي تخضع لها إفريقيا فالاستعمار الذي أقام في كل أنحاء إفريقيا - تقريباً - ولسنوات طويلة، عندما خرج منها لم يخلّف وراءه إلا قارة غارقة في ظلمات الجهل. بل أن بعض المناطق التي كانت منارات علمية قبل دخوله أحالها الاستعمار أثناء وجوده فيها إلى أمية وجهل، فأسوأ تاريخ الاستعمار، هو تاريخه في إفريقيا. وإن كان تاريخ الاستعمار سيئاً في أي مكان. وهناك إشارات واضحة إلى أن بعض الحروب والأمراض التي استوطنت في إفريقيا إنما كان الاستعمار سبباً أساسياً فيها. وفي السودان يحدثنا التاريخ أن الاستعمار هو الذي قفل جنوب السودان في وجه الثقافة العربية الإسلامية التي انتشرت في الجنوب قبل وصول الاستعمار، وكان من آثار قفله للجنوب القطيعة التي حدثت بين الشمال والجنوب، وخلفت وراءها تخلفاً في الجنوب ظهرت آثاره في انتشار الجهل وقلة التعليم والمرض والعري، بل خلّفت سياسات الاستعمار في الجنوب أطول حرب في إفريقيا، كان اندلاعها بتخطيط دقيق قبيل رحيل الاستعمار بأيام، وظلت نارها تستعر

بما ظل يغذيها به من دعم مادي وعيني، بل في كثير من الأحيان بمرتزقة يقاتلون في صفوف حركة التمرد. وبان مؤخراً كيف كان الاستعمار يخطط لإشعال هذه الفتنة لتظل الموارد مكنوزة في الأرض يستخرجها الاستعمار عند حاجته إليها، وتموت شعوب تلك الأرض في ظمأ قرب الموارد. وما قصة البترول في السودان إلا واحدة من تلك القصص.

إن خصوصية الاستثمار في مجال الثقافة في إفريقيا تتأتى من ضرورة الاهتمام بنشر الثقافة العربية في إفريقيا، إذ إن إفريقيا تعتبر امتداداً جغرافياً وحضارياً للأمة العربية . فالوجود العربي في إفريقيا قديم، وملامح الثقافة العربية الإسلامية في إفريقيا، واضحة والعلاقات العربية الإفريقية المعاصرة شهدت قوة تحتاج إلى تعزيز .

أ/ تاريخ الوجود العربي في إفريقيا

الوجود العربي في إفريقيا قديم جداً، وقد ذهب بعض المؤرخين إلى أن الوجود العربي في إفريقيا سابق للإسلام. فابن خلدون يشير في تاريخه إلى أن عدداً من القبائل الإفريقية المشهورة الآن قد وصلت إفريقيا قبل الإسلام، حيث يقول "هذه الطبقة من صنهاجة هم الملثمون المواطنون بالنظر وراء الرمال الصحراوية بالجنوب. أبعدوا في المجالات هناك منذ دهور قبل الفتح[1]. لا يعرف أولها، فأصحروا عن الأرياف . ووجدوا بها

(١) يقصد الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا بقيادة عقبة بن نافع.

المراد، وهجروا التلول وجفوها، واعتاضوا عنها بألبان الأنعام ولحومها، انتباذاً عن العمران، واستئناساً بالانفراد، وتوحشاً بالعز عن الغلبة والقهر، فنزلوا ريف الحبشة جواراً، وصاروا ما بين بلاد البربر وبلاد السودان حجزاً، اتخذوا اللثام خطاماً، تميزوا بشعاره بين الأمم. وعفوا في تلك البلاد وكثروا وتعددت قبائلهم من كذاله ولتمونة، فسموفة فوتريكة، فناوكا، فزغاوة، ثم لمطة، أخوة صنهاجة كلهم ما بين البحر المحيط بالمغرب إلى غدامس من قبيلة طرابلس وبرقة" (٢).

ما أورده ابن خلدون يشكّل جزءاً من علاقة عربية قديمة بمنطقة شمال وغرب إفريقيا، أما الشواهد على الصلات العربية مع شرق إفريقيا فقد بدأ التفاعل بين سكان سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي والجزيرة العربية ومصر منذ آماد بعيدة، ترمز لها هجرات العرب العاربة، وكذلك رحلة الملكة المصرية حتشبسوت إلى بلاد نبتة طلباً للعطور والبخور قبل ثلاثة آلاف وخمسمائة عام. فتاريخ الصومال هو تاريخ التفاعل المستمر بين إفريقيا والجزيرة العربية، إذ كانت الصومال هي الأسبق في استقبال الدعوة الإسلامية، ومن المرجح أن ذلك يعود لعلاقات الصومال القديمة ببلاد العرب، وبحكم وجود جاليات عربية على ساحل الصومال منذ

---

(٢) ابن خلدون – كتاب العبر وديوان المبتدا والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر – مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٦٧ – ص ٣٧٠ .

انهيار سد مأرب وما تلا ذلك [٣].

أما الوجود العربي بعد الإسلام فيؤرخ له بهجرة الصحابة الأولى للحبشة في رجب من السنة الخامسة للبعثة، وكانت مكونة من اثني عشر رجلاً وأربع نسوة، رئيسهم عثمان بن عفان ومعه السيدة رقية بنت رسول الله ﷺ [٤]. ويسجل ذلك ابن هشام في السيرة فيقول: "فلما رأى رسول الله ﷺ ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية . بمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله ﷺ إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام" [٥].

تولّدت عن هذا الوجود العربي في إفريقيا – قبل وبعد الإسلام – شعوب كثيرة تكونت منها قارة إفريقيا الحالية، فالوجود العربي في شمال إفريقيا لا تكاد تخطئه عين، حيث تشكّل دول مصر وليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا والسودان دولاً عربية كاملة العروبة، وتشكّل دول الصومال وجيبوتي وجزر القمر عضوية في الجامعة العربية مع غلبة

---

(٣) د. حسن مكي محمد احمد – السياسة الثقافية في الصومال الكبير – المركز الإسلامي الإفريقي – الخرطوم – سنة ١٩٩٠ – ص٢٣.

(٤) راجع المباركفوري – الرحيق المختوم – جمعية إحياء التراث الإسلامي – الكويت – سنة ١٩٩٨ – ص ٩٢.

(٥) عبدالسلام هارون – تهذيب سيرة ابن هشام – مكتبة السنة – القاهرة – سنة ١٩٨٩ – ص٦٧.

اللسان غير العربي على سكانها، ولكن للثقافة العربية فيها مكاناً مرموقاً، ويُشكّل الوجود العربي في دول مثل تشاد وإريتريا حضوراً قوياً عرقاً ولساناً وحضارة .

إن أعداد العرب في إفريقيا أكثر من أعدادهم في موطن العرب الأصلي في الجزيرة العربية، وإن وجود العرب والثقافة العربية في الدول الإفريقية جنوب الصحراء وجود مقدر نجده في النيجر ومالي وبوركينا فاسو ونيجيريا وغينيا ودول أخرى في غرب إفريقيا، مثلما نجده في أثيوبيا وكينيا ويوغندا وموزمبيق وملاوي وغيرها في شرق وجنوب إفريقيا.

أما دخول الإسلام في منطقة (بلاد السودان)[٦] فقد أشارت المصادر التاريخية إلى أن انتشاره بدأ في منطقة كانم – برنو منذ القرن السابع الميلادي – الأول الهجري – وهو نفس الوقت الذي بدأ فيه انتشار الإسلام. وتذهب بعض الآراء إلى أن ارض الحبشة التي كانت إليها هجرة الصحابة هي بلاد السودان وليست أثيوبيا الحالية [٧]. بل ذهبت بعض الروايات إلى أن صلة العرب بالمنطقة كانت قبل الإسلام. وقد أورد غوستاف ناختيغال في كتابه (تاريخ وداي)، إن التنجور كانوا القبيلة المسيطرة في منطقة كانم، برنو، وإن تاريخ هجرتهم من الشرق لا يزال غامضاً، إلا أن المرجح ان سلطانهم لم يبدأ إلا من حوالي قرن قبل دخول

(٦) هو الاسم الذي كانت تطلقه العرب على كل المنطقة الواقعة بين الصحراء الكبرى والمنطقة الاستوائية.

(٧) قال بهذا الراي بروفيسور عبدالله الطيب المجذوب.

الإسلام، ويضيف : هؤلاء التنجور –الذين سيأتي ذكرهم فيما بعد في إطار تاريخ دار فور– هم ذوو بشرة فاتحة اللون يتكلمون العربية حتى يحسبون في وداي وبرنو عرباً قحاحاً"[٨] .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن قبيلة الفولاني –وهي من أكبر القبائل الإفريقية وتوجد تقريباً في معظم دول شمال وغرب ووسط وشرق إفريقيا– أصلها من الجزيرة العربية، وأنها قد هاجرت إلى إفريقيا قبل ميلاد المسيح عليه السلام بأكثر من ألفي سنة. ذهب إلى ذلك المؤرخ محمد سامبو الكلوي (ت ١٨٢٠م) في كتابه "كنز الأولاد في تاريخ الذراري والأحفاد"[٩]. حيث يقول: "هاجرت قبيلتا جهينة وتميم من الجزيرة العربية إلى الهند عقب فتنة (بختنصر) وذلك ما بين عام (٢٠٠٠ – ٢٧٥٠) قبل ميلاد المسيح عليه السلام . ثم عادتا إلى الجزيرة العربية بعد إخماد نيران الفتنة. وكان مع قبيلة تميم الأبقار والسيوف وعلى رؤوسهم الطاقية ذات اللسانين، ومع قبيلة جهينة الأغنام، ولكن نظراً لقلة المراعي واصلت القبيلتان هجرتهما إلى القارة الإفريقية حيث تتوافر المراعي. فسلكت قبيلة تميم طريق الشام إلى

---

(٨) د. كمال عبيد – العلاقات السودانية التشادية وأثرها في نشر الثقافة العربية الإسلامية – دار جامعة إفريقيا العالمية – الخرطوم – أبريل سنة ٢٠٠١ – ص ٥١ . راجع ناختيغال – تاريخ وداي ترجمة هنري كودري – ص ٣.

(٩) راجع الطيب عبدالرحيم – الفلاتة في السودان. وعثمان برايما بارى – جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي – دار الأمين – القاهرة – سنة ٢٠٠٠ – ص ٣١٩.

صحراء سيناء حيث استقرت في طور سيناء فترة من الزمان، بعدها واصلت الترحال إلى منطقة ليبي أي ليبيا الحالية. وسلكت قبيلة جهينة طريق اليمن إلى أن وصلت إلى منطقة ليبي –حيث تعيش رفيقة دربها– ولكنها انتشرت جنوباً، في الوقت الذي واصلت فيه قبيلة تميم رحلتها إلى أقصى غرب إفريقيا والمغرب الأقصى، حتى وصلت أوداغست عاصمة إمبراطورية غانا القديمة التي تقع ما بين جمهوريتي مالي وموريتانيا وصحراء توات في جمهورية الجزائر حالياً" .

ب / ملامح الثقافة الإسلامية في إفريقيا

خلّفت الثقافة العربية الإسلامية ملامح واضحة في المجتمعات الإفريقية، فبالإضافة إلى الدين وشعائره التعبدية واللغة العربية واستخداماتها اليومية المباشرة بدت ملامح أخرى تظهر جلية في أثر العقيدة الدينية على الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وأثر اللغة العربية في اللغات واللهجات المحلية، فضلاً عن أثرها في مجال التعليم والأدب والثقافة.

فالإسلام الذي يشكّل دين الغالبية في إفريقيا يعتبر هو الدين الذي يتوافق مع الفطرة ويتناسب مع الحياة الإفريقية البسيطة. "الأفارقة يقبلون على الإسلام إقبالاً شديداً لأنه يجذبهم إليه بحياته الحرة وبمتطلباته القليلة حتى بالنسبة للمطلوب من المسيحيين الرسميين غير الملتزمين

بالمسيحية" [10]. هذا ما أورده T.W. Gee في كتابه قرن من انتشار الإسلام في يوغندا [11] .

والجدول التالي يبين نسبة المسلمين للسكان في بعض الدول الإفريقية في الربع الأخير من القرن الماضي[12] (١٩٨٣) .

الدولة	نسبة المسلمين	الدولة	نسبة المسلمين
أثيوبيا	٦٥٪	ملاوي	٣٥٪
إريتريا	٩٣٪	موزمبيق	٣٥٪
الصومال	٩٩٪	مدغشقر	٢٥٪
جيبوتي	٩٩٪	جزر القمر	٩٩٪
زنجبار	٩٠٪	جزرسيشل	١٠٪
تنجانيقا	٦٨٪	موريشص	٢٠٪
كينيا	٥٣٪	رينينو	٤٠٪
يوغندا	٤٨٪	بورندي	٤٠٪
رواندا	١٠٪		

---

(١٠) راجع عبده كاسوزى – قصة انتشار الإسلام في يوغندا – ترجمة عبداللطيف سعيد – مركز البحوث والترجمة – جامعة إفريقيا بالخرطوم – سنة ١٩٩٥ – ص ٩ .

(١١) بحث منشور في Uganda Journal عام ١٩٥٨ بعنوان:

A century Of Mohammedan In Fluence In Buganda- 1851–1951.

(١٢) د. عبدالرحمن عمر الماحي – الدعوة الإسلامية في إفريقيا "الواقع والمستقبل" – دائرة الثقافة والإعلام – الشارقة – ١٩٩٩م ، ص٣٦. وراجع أيضاً محمود شاكر – العالم الإسلامي ومحاولة السيطرة عليه – المكتب الإسلامي – بيروت – سنة ١٩٨٤م .

هذا الوجود والانتشار غذى الحياة الإفريقية بكثير من الملامح والمظاهر الإسلامية (١٣) يمكن رصد بعضها فيما يلي :

في الملبس:

الملابس العربية بخلفيتها الإسلامية تشكل مظهراً عاماً في مختلف أنحاء إفريقيا في شمالها ووسطها وغربها. فمثلاً نجد الكبتاني "والقراند بوبو" في وسط وغرب إفريقيا، وهي لباس رجالي يستمد أصله من الأزياء الإسلامية . فالكبتاني هو تحريف لكلمة قفطان ويتكون من قطعتين سروال وقميص وكلاهما سابل ساتر مفصل ليساعد على أداء عبادة الصلاة، وعند اكتماله يضاف إليه "القراند بوبو" وهي عبارة مع لفظها الإفرنجي إلا أنها تعني الجلابية الكبيرة وهي التي يرتديها سكان تشاد ونيجيريا ومالي والسنغال وغينيا وما جاورها من البلاد، فمع أصولها الإسلامية إلا أنها صارت زياً قومياً يرتديه حتى غير المسلمين.

أما في شرق إفريقيا "تعتبر الملابس السواحلية تجسيداً حقيقياً للترابط بين المنطقتين العربية والإفريقية. فالزي العربي لا تكاد تخطئه الملاحظة العابرة . أما الجلابية العمانية ذات الرقبة الدائرية والفتحة المائلة التي

---

(١٣) راجع ك . مادهو يانيكار : الوثنية والإسلام – تاريخ الإمبراطورية الزنجية في غرب إفريقيا : ترجمة أحمد فؤاد بلبع (الفصل الثالث عشر) (والمجتمع والحضارة في غرب إفريقيا – ص ٤٦٣).

يتدلى منها قيطان ذي حبل على الصدر "كانزو" هي لباس عامة الرجال في المنازل والمساجد والأسواق[١٤]. أما لباس المرأة الغالب (في المنطقة السواحلية) فهو العباءة العربية الحريرية السوداء في زنجبار، ويطلق عليها بالسواحلية (بايا بوي)"[١٥].

في المسكن :

يراعى في المدن والمساكن الإفريقية عموماً التخطيط ذي الطابع الإسلامي الذي يراعي موضع المسجد من الحي، وإمكانية الوصول إليه من كافة أطرافه. كما يراعي الجوانب الشرعية في مجال اختلاط الرجال بالنساء واستقبال الضيوف في مضيافات خاصة . ومجتمع إفريقيا الذي يقوم على التعدد في الزواج يراعي ذلك أيضاً في موضع غرفة الزوج من بقية غرف المنزل التي تنتشر فيها نساؤه.

أما أشكال العمارة فتبدو واضحة في آثار المدن الإفريقية في زنزبار وممباسا وزيلع وسواكن وتمبكتو وقاو وجنى وأبشة وغيرها من المدن التي لا تختلف آثارها التاريخية عن معظم المدن العربية في الجزيرة العربية وقارة آسيا، فالمنزل السواحيلي يتميز بأبوابه الخشبية المنحوتة بنقوش

(١٤) د. عبدالرحمن احمد عثمان – المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحيلية – دار جامعة إفريقيا – الخرطوم سنة ٢٠٠١ – ص ٤٨ .

(١٥) المرجع السابق – ص ٤٩ .

مزخرفة، حيث تكثر صناعة الأخشاب التي تعتمد على قطاع واسع من غابات التيك والمهوقني، وتتخذ هذه الزخارف أشكالاً متعددة كالمربعات المتداخلة والدوائر المتقاطعة .... ويبدو في هذه الأبواب شكل الزخرف الفارسي والأعمدة العمانية الطويلة في بيوت الأمراء والأثرياء [١٦].

في اللغة :

اللغة العربية واسعة الانتشار في إفريقيا وتعتبر لغة أم لعدد كبير من الشعوب الإفريقية. كما تعتبر لغة اتصال بين العديد من القبائل الإفريقية التي لازالت تحتفظ بلغاتها الخاصة. أما اللغة العربية فهي لغة التواصل الأساسية بين القبائل الإفريقية في جنوب السودان. حيث لا تستطيع هذه القبائل استخدام أية لغة مشتركة فيما بينها غير اللغة العربية. وتعتبر اللغة العربية الدارجة هي لغة التخاطب الأساسية لمجموعة كبيرة من القبائل الإفريقية، ففي يوغندا وكينيا وجنوب السودان تسود لغة تعرف (بعربي جوبا) كل مفرداتها عربية غير أن طريقة استخدامها لا تلتزم قواعد اللغة العربية، فضلاً عن التحريف في طريقة نطق واستخدام هذه المفردات، وهي اللغة السائدة عند القبائل الاستوائية والنوبية.

---

(١٦) المرجع السابق – ص ٥٠ .

أما صلة اللغة العربية بلغات الفولاني والصومالية والسواحيلية والأمهرية وغيرها فهي صلات وثيقة جداً. فالسواحيلية استعارت مجموعة من المفردات العربية يقدرها العرب السواحيليون بحوالي (٧٥٪) من مفردات السواحيلي .. وفي مجال الدين فإن (٩٠٪) من المصطلحات مستعارة من اللغة العربية [١٧].

"عرفت اللغة العربية طريقها إلى أثيوبيا قبل الإسلام حيث اختلط التجار والمهاجرون العرب بالأحباش وصاهروهم وتحولت اللغة السبأية إلى لغة عرفت باسم (القيز) (Geez)[١٨].

ظل الحرف العربي هو الأساس الذي كتبت به معظم اللغات الإفريقية، فالسواحيلية والصومالية والفولانية والهوسا ظلت حتى عهد قريب تكتب بالحرف العربي. وهناك مخطوطات عديدة مكتوبة بهذه اللغات محفوظة في عدد من خزانات الكتب في البلاد الإفريقية. وهناك مشروع تتبناه جامعة إفريقيا العالمية لإعادة كتابة اللغات الإفريقية بالحرف العربي يشرف عليه الأساتذة (د. يوسف الخليفة أبو بكر، و د. بابكر حسن قدر ماري، و د. آدم طه حسين) ويشارك في تنفيذه ثلة من طلاب جامعة إفريقيا العالمية الناطقين بهذه اللغات، ويشمل المشروع كتابة لغات

---

(١٧) د. عبدالرحمن عثمان – المرجع السابق – ص ٥٥.

(١٨) ياسر عبدالقادر – التغلغل الصهيوني في إفريقيا – دار جامعة إفريقيا العالمية – الخرطوم – سنة ١٩٩٨م – ص ١٩.

يوغندا والدينكا والأرومو والسواحيلية والولوف والماندينقا واليوربا والهوسا والفولاني، وتنتشر هذه اللغات في حوالي عشرين دولة إفريقية.

كانت اللغة العربية هي لغة الحكم والإدارة في معظم الدول الإفريقية، ولم تكن معظم الدول الإفريقية -إن لم نقل كلها- قد تعرّفت إلى أية لغة أوربية قبل دخول الاستعمار، وما إن رحل الاستعمار حتى أصبحت هذه الدول تتبنى لغة الدولة المستعمرة، فالمكاتبات الرسمية في دول مثل كانم، وداي، سوكوتو، مالي، غانا وغيرها، كانت جميعها تكتب باللغة العربية حتى سقوط هذه الدويلات بسبب الحملة الاستعمارية الجائرة على أفريقيا.

في الأدب:

يمثل الأدب إنتاجاً فكرياً ووجدانياً يدل على التمكن من اللغة والمهارة في التعبير بها. وقد شهدت الساحة الإفريقية إنتاجاً أدبياً عبر العصور بلغة عربية رصينة ظهر في شكل مؤلفات وأشعار .

فمن المؤلفات ما نسب لأحمد بابا التمبكتي، وابن فضل الله العمري، وابن أياس. وأحصى الأستاذ عبدالقيوم عبدالحليم مؤلفات الفوديين باللغة العربية "مؤلفات الهوسا والفولاني بالخط العربي، فبلغت أكثر من ستمائة مخطوط (اختص الشيخ عثمان وحده بـ(١٥٢) مخطوطة،

وكان نصيب الشيخ عبدالله (١٠١) مخطوطة، بينما كتب الشيخ محمد بيلو (١٦٠) مخطوطة. وأسهمت العالمة أسماء (نانا) ابنة عثمان بـ(٤٧) مخطوطة، وما تبقى حوالي ٢١٤ مخطوطة هي من نصيب أبناء وأحفاد الشيوخ الميامين)" [١٩] .

ويشير بروفيسور أحمد محمد كاني في مقال له في مجلة دراسات إفريقية إلى ما قامت به مجموعة فورث وسترن بجمع المخطوطات العربية في نيجيريا، وما قام به جون بادن المحاضر في تلك الجامعة من شراء بعض المخطوطات من إحدى البيوتات العلمية في كانو عام ١٩٧٠م، حيث يقول: "وتشتمل مجموعة فورث وسترن على أكثر من ألفي مخطوطة جمعها العالم الفلكي في مكتبته، بالإضافة إلى أكثر من مائة ألف مؤلف للعالم الفلكي نفسه، وبالرغم من أن الأغلبية العظمى من هذه المجموعة قد كتبت باللغة العربية إلا أن القليل منها قد كتب باللغة الهوساوية أو اليورباوية (بالحروف العجمية)"[٢٠] .

وفي المعهد الوطني للعلوم الإنسانية بجامعة تشاد مجموعة من المخطوطات العربية يرجع بعضها إلى القرن الحادي عشر الميلادي،

---

(١٩) عبدالقيوم عبدالحليم- الشيخ عثمان بن فوديو - بحوث الندوة العالمية احتفاء بذكراه ال ٥١- جامعة إفريقيا - الخرطوم - ١٩٩٦م - ص ٣٩٤ .

(٢٠) أحمد محمد كاني: المخطوطات العربية في السودان الأوسط (مجلة دراسات إفريقية) - العدد (٢٧) - الخرطوم - يونيو ٢٠٠٢م - ص ١٩١ .

وللمعهد مشروع علمي معتمد لجمع هذه الوثائق منذ مطلع التسعينيات في القرن الماضي، ولم يتيسر حتى الآن توفير التمويل اللازم لإنجاز هذا المشروع [٢١].

وقد قام الدكتور عبدالله حمدنا الله خلال فترة عمله في جامعة الملك فيصل بأنجمينا بجمع مادة علمية رصينة في الأدب التشادي باللغة العربية، وقدمه برنامجاً دراسياً لطلاب الجامعة.

والمتتبع للشعراء الأفارقة الذين كتبوا باللغة العربية يجد شعراً جيداً رغم أن العربية ليست لغة أم لكثير منهم، فنجد مثلاً الشيخ عمر تال الفوتي له قصيدة أسماها "تذكرة المسترشدين وفلاح الطالبين" تحتوى على (٢٠٢) بيتاً. مطلعها:

يقول الفوتي: وذاك الأفقرُ

الكدوّي بنُ سعيدٍ عُمرُ

كما له عدد من المصنفات باللغة العربية. وآل بني علوي في جزر القمر برز فيهم عدد من الشعراء، منهم عامر بن سالم [٢٢]، والذي رثا أحد شيوخ آل علوي يسمى سالم بن عبدالله عوض بمرثية طويلة استهلها:

---

(٢١) د. كمال عبيد – مرجع سابق – ص ٢٦٠.

(٢٢) راجع عثمان برايما – مرجع سابق – ص ٢١٤.

هاشم محمد علي – كتاب البدر المنير- ذكر قبائل وسيرة آل بني علوي في جزر القمر- كتبخانة الإسلامية، الهند. سنة ٢٠٠١ – ص ٧٩.

وجـه الشـريعـة مـخـدوش وملطوم

وجـو أحـكام شــرع الله مـقــتــوم

وأصــبح العلم منكوســاً مــعــالمه

والجـهلُ طمّ فـمـا تغني التـعـاليم

وللـشــيـخ عـبدالحـق الـسـنوسـي بن الـتـرجــمـي وهـو من علماء وداي (١٨٥٣ - ١٩١٧) قـصـيـدة رائـعـة فـي رثـاء شـيـخـه مـحـمـد آدم الشـهير بأبي رأس، مطلعها : (٢٣)

أضـحى مـريضـاً فؤادي نـاكس الرأس

يبـكي لـفـرقـة أحـبـابي وجـلاسي

تشـتيتـهم شـتت الحاجـات من أملي

وشــتـت النوم من عــيني بإفــلاس

فـجلت في الناس كي ألقى بهم بدلاً

فلم أجــد غــيــر وســواس وخناسِ

وهناك أمثلة كثيرة في هذا الباب لا يتسع المجال لذكرها .

في السياسة :

ظلت النظم السـياسـيـة في إفريقيا حتى دخول الاسـتـعـمـار تسـتـمـد شرعيـتها وأحكامـها وأساليبـها من نظم الحكم التي كـانت سـائدة في

(٢٣) د. محمد صالح ايوب : الدور السياسي والاجتماعي للشيخ عبدالحق السنوسي - بنغازي - سنة ٢٠٠١ - ص ٢٢٢

العالم الإسلامي. فدول كانم ووادي وسوكوتو وسنار ودارفور وزيلع ومالي وغانا وغيرها. اعتمدت نظاماً شرعياً جعلت الشريعة الإسلامية أساساً للحكم واستخدمت نظم الإدارة نفس المسميات التي كانت مستعملة في العالم الإسلامي مثل الخلافة والإمامة، وعبارات الجهاد وبيت المال وغيرها.

يقول الشيخ عثمان دان فوديو في مؤلفه "نجم الأخوان" وهو عبارة عن رسالة في النظم السياسية موجهة لأتباعه "اشتغلوا بقراءة تواليف أخي عبدالله لأنه منشغل غالباً بحفظ ظاهر الشريعة. واشتغلوا بقراءة تواليف ولدي محمد بيلو لأنه منشغل غالباً بحفظ علم سياسة الأمة بحسب الأشخاص والمقاصد والأزمان والأمكنة والأحوال. واشتغلوا أيضاً بقراءة تواليفي لأني منشغل بحفظ الطرفين غالباً . وتواليفنا كلها تفصيل لما أجمل في تواليف العلماء المتقدمين، وتواليف العلماء المتقدمين تفصيل لما أجمل في الكتاب والسنة" (٢٤).

ورغم أن الاستعمار بحلوله في إفريقيا هدم النظام السياسي الذي كان قائماً، إلا أن مظاهر ذلك النظام لا نزال نجدها في كثير من المجتمعات، وتشكّل جزءاً من الميراث الحضاري، بل وتؤثر في الأوضاع الحالية بتوجيه الأتباع باتخاذ هذا الموقف السياسي أو ذاك. لما تحتفظ به سلالة تلك

---

(٢٤) د. عثمان سيد أحمد - ملاحظات وخواطر حول الحياة الفكرية في الخلافة العثمانية - المكتبة - ورقة مقدمة لندوة إحياء ذكرى الشيخ عثمان بن فوديو - جامعة إفريقيا العالمية - الخرطوم ١٩٩٦ - ص٢٢٢ .

الزعامات السالفة من نفوذ يحتاج إليه بعض السياسيين المعاصرين لتقديم أنفسهم للناس.

ج / متانة العلاقات (العربية - الإفريقية) المعاصرة

خضعت إفريقيا للاستعمار الأوربي وهي تتعرض حالياً للضغوط الأمريكية. ويشعر المواطن الإفريقي بعدم الرضا من السلوك الغربي عموماً (ماضياً وحاضراً) تجاه قارته. أما العالم العربي فعلاقته مع إفريقيا لا تقوم على تجربة استعمارية سابقة، ولا على تطلع لنهب الثروات وسلب الإمكانات. هذا فضلاً عما يوجهه الأفارقة للغرب من اتهام بسبب إيغاله في زرع الفتنة وإدارة الحروب وتوطين الأمراض.

ومهما حاولت بعض القوى الغربية من إظهار الوجود العربي في إفريقيا بأنه وجود غير أصيل، وأنه مرتبط بتجارة الرقيق. فإن الحقائق التي يعلمها الأفارقة أن الصلات العربية الإفريقية تجاوزت المصالح الآنية للمصاهرة والعلاقات المصيرية، وأنّ ما يقال عن تجارة الرقيق لا يعدو أن يكون أمراً مبالغاً فيه، وهو في حده الأقصى يقع في إطار ما كان سائداً حتى بين القبائل الإفريقية بعضها البعض. ولم يخرج من إطار النظم التي كانت معروفة في نظم الأسر والعقاب في الحروب إلى مجال التجارة عابرة القارات، مثلما كان يحدث من بوابة سوق "قورى"[٢٥] للنخاسة، التي

---

(٢٥) قورى جزيرة تقع قرب مدينة داكار عاصمة السنغال.

كان يصدّر منها الرقيق إلى أمريكا وأوربا .

وقد شهدت مرحلة محاربة الاستعمار تضامناً عربياً إفريقياً . ساهم في تحقيق الاستقلال للعديد من الدول الإفريقية . كما كان للدعم الإفريقي للقضايا العربية – وأبرزها القضية الفلسطينية – أكبر الأثر في عزل إسرائيل والتضييق عليها، بالذات في فترة احتدام الصراع العربي الإسرائيلي قبل اتفاقيات التسوية .

إن العلاقات العربية الإفريقية تشكّل قاعدةً صلبةً للتطوير والتعاون المشترك في مختلف المجالات، ولا سيما المجال الثقافي الذي كان للعرب فيه إسهام مقدر عبر الحكومات والمنظمات والأفراد. ويمكن أن يدخل الاستثمار الآن ليعزّز ذلك الإسهام السابق .

الفصل الثاني

دواعي الاستثمار

في مجال الثقافة في إفريقيا

هناك دواع كثيرة لتنشيط الاستثمار العربي في مجال الثقافة في كثير من البلدان الإفريقية ولكنا هنا نقتصر على بعض تلك الدواعي:

أ/ الوفاء بالالتزام الأخلاقي تجاه إفريقيا

إن ما أوردناه آنفاً من الإشارة إلى تاريخ الوجود العربي في إفريقيا، وما خلّفه ذلك الوجود الأصيل من ملامح شكّلت الواقع الإفريقي. وما قدّمته إفريقيا من صمود في وجه المسخ والتشويه والتنكّر لهويتها وثقافتها العربية الإسلامية يجعل من واجب الأمة العربية والإسلامية دعم إفريقيا في مواصلة صمودها واستعادة ما سلب من هويتها وردّها إلى شخصيتها التي ظلت تميزّها لقرون طويلة. ويأتي في مقدمة الداعمين لهذا الصمود الأنظمة السياسية ومؤسسات المجتمع المدني، وعلى رأسها مؤسسات التعليم الجامعي. وندعو هنا رأس المال العربي لارتياد آفاق الاستثمار في إفريقيا في كل المجالات وتحديداً في مجال الثقافة.

إن إفريقيا ظلت خط دفاع متقدم في وجه الهجمة الغربية على الثقافة العربية الإسلامية. ويجدر بنا أن ندرك أن الحرب على الثقافة العربية

الإسلامية لا تستهدف أطرافها، ولكن تسعى لقتلها في موقع الحياة منها وفي قلبها. وما الهجمة الغربية الآن على الثقافة العربية والعلوم الإسلامية، والتي تصاعد صوتها بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، إلا مرحلة من مراحل هذه الحملة الجائرة. ويلزمنا أن نعيد ترميم خطوطنا الأمامية لتغذية هذه الجبهة وتأمين مركز الثقافة العربية الإسلامية. وبما أن الاستهداف لا يعتبر ثقافياً فقط، بل له أبعاد سياسية واجتماعية واقتصادية. فعلى كل المؤسسات ذات الصلة بواحدة من هذه الجهات أن تساهم بقسط وافر للذود عن الأمة وحماية أصل وجودها، والمطّلع على مخططات الغربيين تتبين له المرامي وراء هذه المخططات. يقول "نيد أنغستروم رئيس منظمة World Watch السابق": (أننا نحلّل أي مشروع أو برنامج نقوم بتنفيذه للتأكد بأن ذلك البرنامج يمثّل الجانب التبشيري فيه مكوناً مهماً. إننا لا نستطيع أن نطعم الناس ثم نتركهم يذهبون إلى جهنم) [٢٦]. ويأتي ذلك في سياق حديث الغربيين عن نهاية التاريخ وصراع الحضارات وهي مخططات لم تعد سرية.

يقول هنتنغتون: "المشكلة في الغرب ليست الأصولية الإسلاموية. المشكلة الإسلام. حضارة مختلفة وشعوبها مقتنعة بتفوقها الثقافي وواعية بدونية موقفها. المشكلة بالنسبة للإسلام ليس المخابرات الأمريكية

---

(٢٦) د. محمد بن عبدالله السلومي – القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب – كتاب البيان – الرياض ١٤٢٤هـ – ص٤٧٥.

أو وزارة الدفاع. المشكلة الغرب. حضارة مختلفة بشعوبها. مقتنعة بعالمية ثقافتها، واعتقاد هذه الشعوب بتفوقها. القوة تجبرهم بالالتزام لتوسيع تلك الثقافة خلال العالم. هذه هي المكونات الأساسية والتي تشعل الصراع بين الإسلام والغرب" [٢٧].

ويقول بريجنسكى في خاتمة كتابه (رقعة الشطرنج العظمى): "وفي غضون السنين القليلة القادمة، يمكن لبنية فاعلة للتعاون العالمي، قائمة على الحقائق الجيوسياسية، أن تبرز بالتالي تدريجياً مسئولية (حاكم) العالم الحالي، الذي تولّى على عاتقه في هذا الوقت مسئولية الاستقرار والسلم العالميين والنجاح الجيوسياسي في تلك القضية، سيمثّل ميراثاً مناسباً لدور أمريكا بصفتها القوة العالمية العظمى الأولى (الوحيدة والأخيرة) بشكل حقيقي"[٢٨].

الشواهد في هذا المجال أكثر من أن تحصى، وأوضح من أن تخطئها العين. ولكن رد الفعل المناسب هو الذي نحتاج إليه في هذا الظرف التاريخي بالغ الأهمية. فما ندعو إليه هو الوفاء بالالتزام الأخلاقي تجاه هذه القارة، ليس فقط لمصلحتها وإنما لمصلحة وجود أصلنا وبقاء نوعنا واستمرار ثقافتنا.

---

(٢٧) صموئيل هنتنغتون- صدام الحضارات- ترجمة د. مالك عبيد و د. محمود محمد- الدار الجماهيرية - مصراتة - ١٩٩٩م - ص٣٨٣.

(٢٨) زبيغنيف بريجنسكي- رقعة الشطرنج العظمى- ترجمة سليم ابراهام- دار علاء الدين - دمشق -٢٠٠١م - ص٢٤٠

ب / خلو الساحة مع تزايد أعداد المستفيدين

للدخول في أي مشروع استثماري يلزم أن تعدّ دراسة جدوى خاصة بذلك المشروع تدرس جوانبه الاقتصادية. ويذهب المختصون في اقتصاديات المشروع إلى أن المستثمر ينظر إلى أي موضوع استثماري من زاويتين [٢٩]:

١- التأكد من أن المشروع الذي سيقدم عليه سوف يحقق له مجموعة من الأهداف الخاصة به، مثل عائد الاستثمار، أو المحافظة على رأس المال، أو فترة استرداد رأس المال.

٢- التأكد من الإجراءات الإدارية للحصول على التراخيص اللازمة لمزاولة النشاط. وتمر دراسة أي مشروع بعدة مراحل، تشمل دراسة العلاقة بين المشروع والبيئة التي سوف يُنشأ فيها، ودراسة الطلب المتوقع على خدمات ومنتجات المشروع، والدراسة الفنية اللازمة، وتشمل نوع الفن الإنتاجي المطلوب، والمباني المناسبة لهذا الفن، وإدارة الإنتاج الخاصة بهذه المنتجات، والدراسة التجارية والمالية التي يستطيع المستثمر أن يحدد بها ربحية المشروع، وفترة استرداد رأس المال، والدراسة الاجتماعية من حيث أثر المشروع على الاقتصاد القومي، وعلاقة ذلك بمعدلات التشغيل والبطالة والعمالة، وتوافر العملات الصعبة، وأثر كل ذلك على الحياة العامة للمجتمع وأفراده.

---

(٢٩) راجع د. أحمد فهمي جلال: دراسات الجدوى - مطبعة عابدين - القاهرة - ١٩٧٩ - ص٧.

ويمكن تعريف المشروع الاستثماري بأنه "تصور أو فكرة عن تخصيص موارد معينة لكي تستخدم في إيجاد طاقة إنتاجية جديدة، أو لزيادة طاقة إنتاجية قائمة، أو لإحلال طاقة إنتاجية حالية، وذلك بغرض تحقيق منفعة مستقبلية من تشغيل المشروع لتقديم منتج معين أو خدمة معينة" (٣٠).

والساحة الإفريقية ما تزال بكراً، وتقل فيها المشروعات مقارنة بالتزايد المستمر في أعداد السكان وحجم التواصل الحضري بين إفريقيا وبقية أنحاء العالم، وتعرّف السكان على أنماط استهلاكية جديدة لم تكن مألوفة في إفريقيا، دون أن يواجه هذا الطلب المستمر والمتزايد إنتاجاً محلياً يساوي ذلك الطلب.

والمجال الذي نحن بصدده، وهو مجال الثقافة، نجد تزايداً مستمراً في أعداد المنتمين إليه، سواء في مجال التعليم أو الإعلام أو غيره من المجالات. وتشهد البلاد الأوربية – وإلى حد ما – البلاد العربية هجرة أعداد كبيرة من الطلاب الأفارقة لتلقي العلم في هذه البلدان، أو لتطوير قدراتهم، أو لنشر معارفهم. ولو أن ذلك أتيح لهم في بلادهم لكان أفضل. فالطلاب الذين يهاجرون لتلقي العلم خارج بلادهم لاشك أنهم ينفقون أموالاً كثيرة على الرحلة وعلى الدراسة وعلى الإعاشة. وصحيح

(٣٠) د. مصطفى محمود ابو بكر، و د. معالي فهمي حيدر: دليل إعداد دراسات جدوى المشروعات – الدار الجامعية – الإسكندرية – ٢٠٠٠ – ص ٣٦.

أن أعداداً كبيرة بينهم إنما تتلقى ذلك على سبيل المنح. ومما لا شك فيه أن المانحين سيكون وضعهم أفضل، وإنفاقهم أيسر لو تيسر لهم أن يقدموا تلك الخدمات الممنوحة داخل بلاد هؤلاء المستفيدين .

الخلاصة أن الساحة الإفريقية تكاد تكون خلواً من كثير من الخدمات الثقافية الضرورية (مدارس – جامعات – مطابع – مسارح – إذاعات – ... الخ) أو في أفضل الحالات فإن المتوافر منها دون الطلب بكثير من حيث الكم ومن حيث النوع. مع التزايد المستمر في أعداد المستفيدين من هذه الخدمات، والتي ربما اضطرتهم ظروف الحاجة للهجرة من بلادهم بحثاً عنها . ويمكن قياس ذلك بحال الدول العربية قبل توفير كثير من الخدمات المتاحة الآن في الوطن العربي. كم كان الناس يتجشمون الصعاب لنيلها. وكم كان إنفاقهم على ذلك ؟ وما هو الحال الآن ؟.

ج / انخفاض الكلفة مع إجزاء العائد

ليُقْبِل أي مستثمر على أية عملية استثمارية لابد من تأكده من أن عائد هذه العملية مجزٍ، ويكون العائد أكثر إجزاءً إذا كانت التكلفة منخفضة، والتكلفة من وجهة نظر أي مستثمر هي "المصروفات التي تدفع بالفعل لعناصر الإنتاج اللازمة لإنتاج سلعة ما، أو كمية إضافية من هذه السلعة . ويشمل هذا التعريف المبالغ المدفوعة فعلاً لكل عناصر

الإنتاج التي اشتركت في العملية الإنتاجية، مثل الأجور والفوائد والربح، وأثمان المواد الأولية، وأثمان الوقود وغيرها [٣١].

والعائد هو ما يحصل عليه كل عنصر من عناصر الإنتاج مقابل اشتراكه في العملية الإنتاجية. وهذا العائد يعتبر ثمناً أو سعراً لهذا العنصر، أو ثمناً لخدمة هذا العنصر. وأسعار خدمات عناصر الإنتاج تحدد بنفس الطريقة التي تتحدد بها أسعار السلع والخدمات، وذلك عن طريق العرض والطلب.

وما من شك في أن العرض من السلع والخدمات الثقافية في إفريقيا يعتبر أقل من الطلب عليها، مما يعني ارتفاع أسعارها مقارنة بانخفاض تكلفة بعض عناصر الإنتاج مثل العمال والأرض. والمنظم بالذات إذا ما تمت مقارنة هذه الأسعار بأسعارها في مناطق أخرى من العالم ترتفع فيها أسعار الأرض والعمالة والتنظيم ويتوافر فيها العرض بدرجة كبيرة. إذن يمكن أن تعتبر إفريقيا متمتعة بميزة نسبية في مجال الاستثمار وبالذات الثقافي قياساً بغيرها من القارات.

---

(٣١) د. محمد خليل برعي و د. علي حافظ منصور: مقدمة في النظرية الاقتصادية – جامعة القاهرة – ١٩٩١م – ص ٢٨٤.

الفصل الثالث

مهددات الاستثمار الثقافي في إفريقيا

توافر الميزات النسبية للاستثمار الثقافي في إفريقيا لا يعني أن ذلك الاستثمار خالٍ من المخاطر وبعيداً عن المهددات. فإن ما أحكم المستثمر دراسته في معرفة جدوى المشروع الاقتصادية وعزم على إنفاذ قرار الاستثمار فلابد من الإلمام ببعض المهددات والمخاطر التي قد يواجهها مشروعه، ونذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

أ- معارضة قوى الهيمنة الدولية

أشرنا فيما سبق للمخططات الغربية في كبح جماح التمدد الثقافي العربي الإسلامي، والقضاء عليه في داره، وتجفيف منابعه، والمتوقع أن تكون معارضة القوى الدولية المعارضة للإسلام أكبر إزاء أي عمل ثقافي يستند إلى الحضارة العربية الإسلامية في إفريقيا . فسياسات الاستعمار القديم والحديث واتجاه العولمة هو أن تسود حضارة واحدة، وتتمدد ثقافة واحدة، على حساب الحضارات والثقافات الأخرى.

جاء في "خطة لغزو العالم الإسلامي" من أعمال مؤتمر كلورادو التبشيري الذي عقد عام ١٩٧٨م "لقد أوقفنا انتشار الإسلام في جنوب

ووسط إفريقيا، وما نحتاج إليه الآن هو العمل الجاد لإيجاد منافذ داخل الإسلام" (٣٢).

فقوى الاستعمار التي اختارت لإفريقيا أن تعيش في ظلمات الجهل، وحرمتها فرصة الالتصاق بالثقافة العربية الإسلامية، وقطعت جذورها بهذه الثقافة، لن تكون سعيدة لدخول أي مستثمرين في مجال العمل الثقافي في إفريقيا، ولكن ما ينبغي لنا أن نستسلم حيال هذا الموقف. فالأمر لا يعدو أن يكون تعارض إرادات واختلاف مصالح. فما ينبغي أن تكون إرادتنا هي الأضعف، ولا مصالحنا هي الأضيع.

ب- إجراءات ونظم الدول الإفريقية

أشرنا فيما سبق إلى أن أية دراسة جدوى تهتم بالتأكد من طبيعة الإجراءات المطلوبة لإنجاز أي استثمار. ورغم حاجة إفريقيا الماسة للاستثمار، وتوفر الطلب على سائر المنتجات بما فيها الثقافة. إلا أن نظم الإدارة في إفريقيا ما تزال متخلفة. إما بسبب ضعف القوانين وتأثرها بنظم اقتصاديات الدولة في عالم بدأ يتجه بقوة نحو اقتصاد السوق. وإما بسبب الفساد الإداري والمالي الذي تشير إليه تقارير ومؤشرات القياس

---

(٣٢) بروفيسور عون الشريف قاسم : الصراع الإسلامي والمسيحي في إفريقيا. ورقة مقدمة لندوة التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا، تحرير حسن الناطق و السر بشير . جامعة إفريقيا العالمية - الخرطوم - ١٩٩٩ - ص٢٠٠.

الدولية. حيث ترصد هذه التقارير بأن إفريقيا تعتبر الأسوأ في مجال الفساد الإداري والمالي. لا يقف ذلك عند حدود القيادات الفاسدة في المستويات العليا، ولكن يتدنى إلى أدنى السلم الوظيفي، بحيث يكون التعطيل للإجراءات بسبب الرشاوى أو غيرها هو سيد الموقف في كثير من الأحيان. ولكن إذا كانت جهات أخرى تنتمي لغير الحضارة العربية الإسلامية تصبر على هذه الإجراءات، وتحقق نجاحاً بإنشاء مشروعاتها. فالصبر ألزم لنا ونحن نربط مشروعاتنا برسالتنا الحضارية تجاه هذه القارة.

ج- عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي

لم تتح ظروف الاستعمار لإفريقيا تطوراً طبيعياً باتجاه خياراتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولذلك وقع اضطراب شديد في بنيات المجتمعات الإفريقية سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، وشكّل هذا الاضطراب حالة من عدم الاستقرار المستمر والقفز العشوائي من نظام إلى نظام. ولا يكون التحول من هذا النظام إلى ذاك في إطار من الدراسة والتعمق، أو في إطار الانتقال السلمي. فلقد شهدت إفريقيا أسوأ أنواع التوترات والحروب. فحرب إفريقيا ضد التفرقة العنصرية في كينيا وزامبيا وزيمبابوي وجنوب إفريقيا وغيرها أصبحت وصمة عار في جبين الإنسانية، هذا فضلاً عن ما خلفته من أحقاد وتوتر مستمر. والحروب القبلية التي غذاها الاستعمار في رواندا وبوروندي والسنغال وسيراليون

ونيجيريا وتشاد والسودان وغيرها، أثرت أبلغ الأثر على استقرار كل الأقاليم والدول الإفريقية، وانعكست على أوضاع السكان والبيئة وبنيات المجتمع الأساسية. فتكاد تكون إفريقيا قارة مفتقرة تماماً للبنيات الأساسية التي تمتعت بها دول منذ قرون.

والذي يزور أوربا ويجد مستوى التقدم الحضاري فيها يوشك أن يسمع وراء كل إنجاز وخلف كل تقدم أصوات ضحايا الاستعمار في إفريقيا وغيرها، ويكاد يلمس حرارة دمائهم وأنفاسهم التي أزهقت في سبيل راحة الرجل الأبيض.

كل هذا خلّف جواً لم يكن مواتياً لأي استثمار في إفريقيا، ولكن بعد هذه العقود من رحيل الاستعمار وفي ظل عالم مفتوح أمام انتقال رؤوس الأموال والعمالة، وفي عالم أصبح سوقاً واحدة يمكن للمستثمرين أن يحولوا نتاج ظروف عدم الاستقرار السابقة إلى قصص نجاح بالدخول إلى استثمار في مختلف المجالات، وأولها مجال الثقافة، فالتنافس الذي نشهده من البلدان والشركات المختلفة للدخول لأسواق البلدان التي وضعت الحرب فيها أوزارها للتو، أو لم تكد تضع أوزارها بعد في بعض البلدان، يجعلنا نتساءل: لماذا لا تجد إفريقيا نفس الاهتمام أم أنها ستظل مدخورة ليوم ما؟ طالما لم تكن ثمة منافسة.

سيكون عائد المستثمرين في إفريقيا كبيراً رغم ظروف عدم الاستقرار، بل إن جزءاً من أسباب عدم الاستقرار هو تنافس الأعداد

المتزايدة من البشر على الكميات المتناقصة من الثروة. ولو تبنت بعض خطط الاستثمار في إفريقيا اتجاهاً يعظّم من الناتج من الموارد المتاحة لمقابلة التزايد المستمر في السكان والحاجات المتصاعدة، سيكون من ضمن عوائد تلك المشاريع تحقيق الاستقرار وإيقاف التوتر وبالتالي حقن الدماء وحفظ الأرواح والأنفس والثمرات.

الفصل الرابع

مجالات الاستثمار الثقافي في إفريقيا

تتعدد مجالات الاستثمار الثقافي في إفريقيا وتتنوع تنوعاً كبيراً، غير أننا هنا نشير إلى بعض هذه المجالات آملين أن تحظى برعاية المهتمين بهذا الأمر:

أ / مجال التعليم

يشكّل التعليم بمستوييه العام والعالي مجالاً مهماً للاستثمار في إفريقيا، فما زالت نسبة الأمية في إفريقيا هي الأعلى بين قارات العالم، وأعداد التلاميذ في سن التمدرس هي الأدنى. أما الوضع في الجامعات والمكتبات العامة فهو غاية في التواضع.

التعليم الجامعي:

رغم أن الاستعمار قد رحل من إفريقيا قبل ما يقارب نصف قرن من الزمان، إلا أن الوضع في التعليم الجامعي في إفريقيا ما زال ضعيفاً. ففي بعض البلدان لم يزد عدد جامعاتها على جامعة واحدة بعدد محدود من الكليات تقع معظم تخصصاتها في مجال الدراسات النظرية والعلوم الإنسانية، وبعض هذه الجامعات أشبه

بالكليات الجامعية منها بالجامعات. حيث تعطي درجات دون درجة الإجازة الجامعية (البكالوريوس أو الليسانس)، ويكون على الطلاب المتخرجين في هذه التخصصات إكمال دراستهم في بعض جامعات الدول الإفريقية الأخرى، أو الانتقال إلى أوروبا لإكمال تعليمهم. وعملت ظروف الحرب المستمرة في أنحاء مختلفة من إفريقيا على تعطيل الكثير من الجامعات وتوقف عملها، أو الانتقال إلى خارج المجتمعات التي أنشئت من أجلها. ففي الصومال توقفت جامعة الصومال الوطنية منذ مطلع التسعينيات ولم تباشر أعمالها بعد. ومثل ذلك حدث في ليبيريا وسيراليون، وانتقلت جامعة جوبا إلى الخرطوم منذ منتصف الثمانينيات .

أما الجامعات ذات الطابع العربي الإسلامي فإنها قليلة جداً، فقد قررت منظمة المؤتمر الإسلامي فتح جامعتين إسلاميتين في إفريقيا، وكان ذلك في عام ١٩٧٤م، إحداهما في يوغندا والأخرى في النيجر بعدد محدود من الطلاب. والدراسة تنحصر في عدد محدود من التخصصات (آداب، تربية، علوم اجتماع، دراسات إسلامية، علوم إدارية)، وقد شجعت تجربة هاتين الجامعتين على إنشاء بعض الجامعات والكليات، فقد تحوّل المركز الإسلامي الإفريقي في الخرطوم من مؤسسة تعليم عام إلى جامعة إفريقيا العالمية سنة ١٩٩١م. وتأسست جامعة الملك فيصل بإنجمينا في تشاد سنة ١٩٩٣م. كما تأسست في زنجبار جامعة أهلية وكلية للتربية.

وهناك بدايات لتأسيس كليات جامعية في عدد من ولايات نيجيريا في إلورن وكانو وغيرهما. وهذا التزايد في تأسيس الجامعات والكليات منشؤه:

١- نجاح تجربة الجامعات والكليات الرائدة رغم ما واجهته من صعاب.

٢- تزايد أعداد الطلاب الدارسين بالمدارس العربية الإسلامية.

٣- تزايد اهتمام المنظمات والجمعيات الإسلامية بتطوير برامج التعليم في المستوى الجامعي.

٤- قبول المجتمع وتعديل القوانين لتسمح بالترخيص لهذا النشاط.

ويمكن القول إن الدخول للاستثمار في مجال التعليم الجامعي مهما كانت الصعاب في مراحله الأولى، إلا أنه من المضمون جداً انتظامه واستمراره في المراحل المتقدمة، فقد وقفتُ شخصياً على تطور تجربتين في هذا المجال، إحداهما تجربة جامعة إفريقيا العالمية، والتي كانت تحظى قبل تحولها إلى جامعة بدعمٍ كريم من سبع دول عربية. حيثُ بلغت ميزانيتها في سنة من السنوات أكثر من عشرة ملايين دولار (ذلك عندما كانت مركزاً إسلامياً إفريقياً)، وكان عدد طلابها لا يتجاوز (٢٥٠) طالب (في المرحلة الثانوية). فالجامعة اليوم وقد تجاوز عدد طلابها الخمسة آلاف طالب، وبها ثماني كليات نظرية وتطبيقية بما فيها الطب والهندسة، وتضم طلاباً من كل دول إفريقيا تمنحهم البكالوريوس والدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه، ومع ذلك تُسيّر بميزانية لا تصل

إلى ربع ما كان يتاح لها عندما كانت مركزاً إسلامياً. ويرجع ذلك إلى حسن الإدارة، وتوظيف الموارد، ومراعاة أولويات الصرف، وتحاشي الصرف غير الضروري. بل تساهم موارد الجامعة الذاتية في سد جزء من ميزانيتها.

أما التجربة الثانية فهي تجربة جامعة الملك فيصل بانجمينا، حيثُ أنه قد عُرِضَ عليّ - بصفتي رئيساً لجمعية الصداقة السودانية التشادية - دعم المجلس الأعلى للمسلمين بمدرسة ثانوية، وبعد حوار طويل مع إمام المسلمين في تشاد الشيخ الدكتور حسين حسن أبكر اقتنع أن ينصرف التفكير والتخطيط لتأسيس جامعة بدلاً من تأسيس مدرسة، وبدأت الاتصالات إلى أن أسفرت عن تأسيس جامعة الملك فيصل، تطويراً لمركز الملك فيصل في انجمينا. ثم استقلت الجامعة بإدارتها ومبانيها وميزانيتها، وهي تضم الآن عدداً من الكليات، وبها كلية للدراسات العليا، وقدمت مساهمة مقدرة في تطوير التعليم في تشاد أفضل مما فعلت جامعة تشاد التي سبقتها في النشأة بأكثر من ربع قرن من الزمان.

إن دخول مستثمرين في مجال التعليم الجامعي في إفريقيا سيستند إلى قاعدة واسعة من التعليم العربي الإسلامي الذي تنتشر مدارسه في جميع أنحاء إفريقيا، وإلى رغبة شديدة لدى المسلمين لتطوير قدراتهم

في هذا الاتجاه، كما سيستند إلى تجارب ناجحة وموفقة يمكن دراستها والاطلاع على تفاصيلها في نظامها.

التعليم العام:

نُظِّمت في جامعة إفريقيا العالمية – يوم كانت تسمى المركز الإسلامي الإفريقي– ندوة لمناقشة قضايا التعليم الإسلامي في إفريقيا وذلك في الفترة من ١٢–١٥ رجب ١٤٠٨هـ، الموافق ٢٩/٢–٣/٣/١٩٨٨م، أي قبل حوالي ستة عشر عاماً، ونظرت تلكم الندوة في محاور أوضاع التعليم في أقاليم إفريقيا الغربية والوسطى والشرقية، مع دراسة عامة لأوضاع التعليم في إفريقيا. شارك في الندوة عدد كبير من المهتمين بقضايا التعليم في إفريقيا من الدول العربية والإفريقية، وقدمت فيها أربع وعشرون ورقة علمية، وصدرت في شكل كتاب أصدرته جامعة إفريقيا عام ١٩٩٢م. وخلصت الندوة إلى عدة توصيات، وكُلِّفَت لجنة بمتابعة تلك التوصيات. إلا أن الخلافات السياسية التي عمت العالم العربي الإسلامي بعد أحداث حرب الخليج الثانية عطّلت المساعي التي ربما كانت قد أنجزت الكثير لو أنها انطلقت حينها –ولكن قدّر الله وما شاء فعل–. أفادت أوراق تلك الندوة بالإقبال الشديد على مدارس التعليم العربي الإسلامي في إفريقيا، وشخّصت المشاكل التي تواجه هذا التعليم،

ودعت للاهتمام به وتقديم الدعم له. ونحن ندعو هنا الآن لدخول رأس المال العربي للاستثمار في مجال التعليم العام، بتأسيس المدارس، وإعداد المعلمين، وتأليف ونشر الكتاب المدرسي.

ونشير هنا إلى تجربة جامعة إفريقيا العالمية. فبعد أن تقرر تجفيف التعليم العام وتركيز الموارد للتعليم العالي، رؤي أن يستعاض عن ذلك بتأسيس برامج لشهادة ثانوية يجلس لها الطلاب على نظام التعليم عن بعد، وذلك وفاءً للتوصية (ثانياً "٤") من توصيات الندوة المذكورة، والتي تقرأ (توصي اللجنة بالسعي لتوحيد الشهادة المدرسية النهائية في المرحلتين المتوسطة، وما يتبع ذلك من توحيد في الامتحان في هاتين الشهادتين[٣٣]) . وسعت الجامعة للتنسيق مع اتحاد المدارس العربية لإنجاز المشروع، وفي النهاية تولّت الجامعة أعباء المشروع كاملاً، وأصدرت قراراً بتشكيل مجلس أمناء للشهادة، انبثقت عنه أمانة عامة، حيثُ تولّت عمادة المركز الإسلامي الإفريقي الاضطلاع بمهمة تسيير البرنامج، وعندما تم ضم المشروع لكلية التربية بجامعة إفريقيا العالمية مؤخراً قامت الكلية برعاية المشروع. والذي ينظم أعماله نظام اساسي، ولائحة داخلية، ولائحة امتحانات، وأجيزت مناهجه، وصدرت في شكل مطبوعات، وتمت الامتحانات التجريبية في أربعة مراكز، ثلاثة منها خارج السودان.

---

(٣٣) أعمال ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا: تحرير د. عبدالرحيم علي وعبدالقيوم عبدالكريم – دار جامعة إفريقيا العالمية – الخرطوم – ١٩٩٢م – ص ٢٨٧ .

ويقوم الطلاب بسداد رسوم الامتحانات، وفي المدى الطويل تفيد دراسات الجدوى أنه سيغطي مصروفاته ويقوم بتمويل نفسه، ويهدف هذا المشروع إلى[٣٤]:

١- نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، والارتقاء بمؤسسات التعليم العربي الإسلامي.

٢- توجيه مناهج التعليم العام وتطوير نظمه في إفريقيا وبقية أنحاء العالم، وتشجيع الاهتمام باللغة العربية والثقافة الإسلامية.

٣- توفير فرص التأهيل الأكاديمي للشباب لتمكينهم من مواصلة الدراسة والالتحاق بالجامعات،[٣٥] والمشاركة الفاعلة في تنمية مجتمعاتهم.

ذكرتُ هذا النموذج لأبيّن مستوى الإقبال على التعليم العام ذي الطابع العربي الإسلامي في إفريقيا. ولمزيد من الاطلاع على رسوخ تجربة هذا النوع من التعليم يمكن الرجوع لعدد من المراجع مثل:

١- د. حسن مكي: السياسات الثقافية في الصومال الكبير. من إصدارات جامعة إفريقيا العالمية - الخرطوم.

٢- د. مهدي ساتي صالح: مؤسسة التعليم الإسلامي والعربي في السنغال. من إصدارات جامعة إفريقيا العالمية - الخرطوم.

---

(٣٤) المادة الثالثة من النظام الأساسي للشهادة الثانوية العالمية.

(٣٥) الطلاب الذين نجحوا في اجتياز امتحانات هذه الشهادة قُبِلَ بعضهم في جامعة إفريقيا العالمية، والبعض الآخر في جامعة الملك فيصل بإنجمينا.

٣- محمد عثمان علي خير: عروبة إرتريا - حقائق ووثائق. من إصدارات دار الجيل دمشق .

٤- د. الطيب زين العابدين: الأوضاع التعليمية للأقليات المسلمة في إفريقيا- مقال منشور بمجلة دراسات إفريقية- العدد (٢٦) - ديسمبر ٢٠٠١م - من إصدارات جامعة إفريقيا العالمية - الخرطوم .

٥- د. خديم محمد سعيد أمباكي : التعليم الإسلامي. الواقع والمأمول في السنغال: مقال منشور بمجلة دراسات إفريقية- العدد (٢٤) - ديسمبر ٢٠٠٠م - من إصدارات جامعة إفريقيا العالمية - الخرطوم.

المكتبات العامة:

ونقصد بالمكتبات العامة المؤسسات التي تضطلع بتوفير الكتاب للاطلاع والاستلاف وتنظيم النشاط الثقافي العام وتوفير معيناته من قاعات وتقنيات عرض وتوثيق ... الخ. وهذه مؤسسات بالإمكان أن تتوافر لها أسواق في أوساط المثقفين والمنشغلين بالآداب والفنون .

ب- مجال الإعلام والنشر

مجال الإعلام والصحافة والنشر من المجالات النامية في إفريقيا، وقد ظلت إفريقيا مستهلكة للإنتاج الأوربي في هذا المجال، دون أن تكون لها

مساهمات في الماضي، وقد عمل الإعلام الغربي على توجيه الرأي العام الوجهة التي يريد . بل أعطى انطباعاً سالباً عن إفريقيا بكثافة ما ضخه من معلومات كرّست النظرة إلى إفريقيا باعتبارها قارة الأزمات والأمراض والمجاعات. وهذا الضخ الكثيف شكّل نفسية الأفارقة للتعامل مع هذا الواقع، باعتباره لا فكاك منه. والهدف الذي ينبغي أن ندخل به عالم الاستثمار في مجال الإعلام. هو المساعدة على تصحيح النظرة إلى إفريقيا، وتوجيه الرأي العام فيها اتجاهاً إيجابياً يعلي قيم الإنتاج وينشر ثقافة السلام. ومجالات الإعلام المناسبة للاستثمار هي :

الإذاعة والتلفزيون:

تشكّل الإذاعة واحدة من أهم وسائل الاتصال في إفريقيا، ويعطي الإفريقي جزءاً مقدراً من وقته للاستماع للراديو، وقد نجد الفرد يحمل جهاز الراديو معه في مواقع العمل المختلفة، ويتابع تطورات الأوضاع. ومعظم الأخبار والتنويهات الخاصة تكون الإذاعة هي مصدرها. فأخبار الوفيات والوظائف والمفقودات والإعلانات الخاصة غالباً ما تكون عن طريق الإذاعة. وهناك بعض المحطات الإذاعية في بعض الدول الإفريقية تمول نشاطها من عائد الإعلانات الفردية والخاصة[٣٦]. وكذلك بالنسبة

(٣٦) تجربة إذاعة النصر المستقلة في إنجمينا والتي تذيع للأفراد إعلاناتهم الخاصة مقابل رسوم معلومة.

للتلفزيون، وبالمقارنة بين الإذاعة والتلفزيون فإن تكلفة تشغيل الإذاعة تعتبر منخفضة قياساً بتكلفة تأسيس وتسيير التلفزيون. وغالباً ما يُربَط بين البث الإذاعي والتلفزيوني في مشروع متكامل بإدارة وقوى عاملة مشتركة، ويمكن أن يستفيد كل مجال من وفورات النطاق التي يوفرها المجال الآخر.

وقد تم مؤخراً تأسيس عدد من الإذاعات ومحطات التلفزيون، وبعضها متخصص في نشر القرآن الكريم، نجد ذلك في سيراليون وتشاد ومالي وغيرها. وتتيح نظم معظم الدول الإفريقية الآن إمكانية التصريح بعمل محطات إذاعية على محطات الـ (FM) لخدمة المجتمعات المحلية، أو لربط هذه المجتمعات بمحطات دولية.

الصحف ووكالات الأنباء :

يتفق خبراء الإعلام والاتصال على حقيقة أن وكالات الأنباء العالمية الكبرى تحدث تأثيراً على مفهوم الأخبار في دول العالم الثالث في مجالات قيمة الأخبار وغائبتها والشكل والأسلوب[٣٧]. وفي قارة تضعف فيها وسائل الإعلام المحلية من وكالات أنباء وصحف يجعل القارة نهباً للتأثير الإعلامي الأجنبي. تعاني وكالة الأنباء

(٣٧) مرتضى الغالي: من قضايا الإعلام الإفريقي: مجلة دراسات إفريقية - العدد ١٨ - يناير ١٩٩٨م - جامعة إفريقيا العالمية - ص ١٠٧ .

الإفريقية (بانا) -أكبر الوكالات في إفريقيا- مشاكل جمة تقعد بها دون أداء رسالتها .

أما الصحف ، فإن الصحف المحلية منها إما تحت تأثير المستثمرين الأجانب، مثل صحف كينيا الكبرى (الإستاندر . النيشن) أو تسير بقدرات محلية تقلل من جودتها وحسن تغطيها ومن أعداد توزيعها .

ولو أن إفريقيا حظيت بمؤسسات صحفية محترمة في إخراجها ومادتها وتوزيعها فإنها ستؤثر تأثيراً بالغاً .

جربت تشجيع بعض الصحف في بعض البلدان بتقديم دعم متواضع، وكانت تصدر باللغة العربية. ساعد انتشار هذه الصحف المحدودة من تقوية انتشار اللغة العربية وتزايد المهتمين بأمرها، فنجد في بلد مثل السنغال صحف مثل (المسلم) - (دراسات إسلامية) - (الفجر) - (الأفكار) . ونجد في تشاد (إنجمينا اليوم) - (النصر) - (الوحدة) وغيرها، تؤدي دوراً مهماً في نشر الثقافة العربية رغم محدودية إمكاناتها، لكنها تؤثر إمكانية الاستثمار في هذا المجال .

الطباعة والنشر والتوزيع :

كانت الثقافة العربية في إفريقيا هي الأساس، رغم بدائية الوسائل التي كانت متاحة لنشرها . وعندما دخل الاستعمار أدخل معه وسائل

الطباعة الحديثة والنشر ونشط في مجال التوزيع، فانحسرت الثقافة العربية، وضيق عليها بسبب عدم قدرتها على المواكبة في الانتشار بوسائل النشر الحديثة، ومع ذلك فقد ظهرت بعض الاجتهادات في هذا المجال. فقد أسس الحاج عثمان توري مطبعة سنة ١٩٥١م لنشر الثقافة العربية والإسلامية في السنغال. كما نشط بعض تجار هرر في تأسيس مطابع متواضعة لنشر العلوم العربية الإسلامية في إثيوبيا. وقام بعض المهاجرين العرب بالمساعدة في هذا المجال، حيث أسس السيد يوسف هلال اللبناني الجنسية دار هلال للنشر و للطباعة في السنغال[٣٨]. وقد دعمت جامعة الملك فيصل بإنجمينا الثقافة العربية بتأسيس مطبعة حديثة تعمل على الأساس التجاري، وبدأت عملها عام ٢٠٠٣م، وكان من أول إسهاماتها طباعة جزء (عمّ) مع القاعدة البغدادية في تعليم الخط العربي. ويعتبر سوق الطباعة والنشر وتوزيع الكتاب العربي من الأسواق الواعدة في إفريقيا، وسيكون لها أثر فعّال في دعم نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية، مع ما يمكن أن تدره من عوائد مجزية للمستثمرين.

إن وفرة المخطوطات العربية في إفريقيا واحتواءها على مواد نادرة يمكن أن تعطي أهمية خاصة في مجال النشر والتحقيق، وسيجد المشتغلون

---

(٣٨) د. مهدي ساتي صالح مؤسسات التعليم الإسلامي والعربي في السنغال. دار جامعة إفريقيا العالمية- الخرطوم ١٩٩٠م . ص٣٨.

بهذا المجال عشرات الآلاف من المخطوطات المهمة، والتي تكشف خبايا في التاريخ الإفريقي لم يتعرّف عليها حتى الآن.

ج- مجال المراكز المتخصصة

تعتبر مراكز تعليم اللغات والترجمة والحرف، ومراكز البحوث والدراسات، من المؤسسات التي لا يمكن أن يستغني عنها مجتمع من المجتمعات. والحاجة لمثل هذه المراكز المتخصصة في إفريقيا كبيرة، ونحن نشير هنا إلى بعض هذه المراكز فيما يلي:

مراكز تعليم اللغة العربية والترجمة:

لم تعد الطرق التقليدية في تعليم اللغات تناسب ظروف العصر، فقد استحدثت طرق جديدة وسريعة في تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتعتبر تجربة معهد الخرطوم الدولي للغة العربية التابع لجامعة الدول العربية، ومعهد اللغة العربية التابع لجامعة إفريقيا العالمية، وتجربة المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم (إيسيسكو) من التجارب الرائدة في مجال تعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها، وتضيق معاهد هذه المؤسسات بالراغبين في تعلُّم هذه اللغة، وقد قامت تجارب خاصة لتعليم اللغة العربية يتبناها شباب درسوا في هذه المعاهد لصالح مجتمعاتهم.

فقد أسس أحد خريجي جامعة إفريقيا العالمية معهداً لتعليم اللغة العربية بأديس أبابا في إثيوبيا، استخدم فيه نفس طرق وتقنيات التعليم المستخدمة في المعاهد المذكورة. واستطاع أن يستقطب مجموعة من المهتمين، بالذات من طبقة الدبلوماسيين والتجار وأصحاب الأعمال ذات الصلة بالعالم العربي، ويقوم بالتدريس معه مجموعة من الخريجين الذين درسوا بهذه المعاهد، ويقوم الدارسون بسداد رسوم معقولة مقابل تعلمهم في هذا المعهد.

أما الترجمة فإن نقل المعارف وترجمة الوثائق من الأعمال التي تلقى اهتماماً متزايداً، وتجربة معهد الترجمة الإسلامي بالخرطوم والذي أسسته منظمة المؤتمر الإسلامي تدل على أهمية هذا المجال. وتتعدد أنواع الترجمة من ترجمة وثائق رسمية، إلى ترجمة مؤلفات متخصصة أو أدبية، إلى نظام الترجمة السنوية الفورية في المؤتمرات وأجهزة الإعلام. والاستثمار في هذا المجال قطعاً سيكون عائده مضموناً.

مراكز التدريب المهني :

إن ضرورات التنمية في إفريقيا تعني حاجتها لقوى عاملة مدربة. ومحدودية الدخل لدى الأفارقة، وظروف المعيشة القاسية تدفع بالأسر لسحب أبنائها من المدارس ليساهموا معها في سد احتياجاتها اليومية،

فلو توافرت مراكز للإعداد المهني والتأهيل الحرفي لساعد كثيراً في تطوير قدرات القوى العاملة وخفف عن الأسر وطأة الفقر. ورغم أنه قد يبدو أن هذا النوع من المراكز إنما يغشاه الفقراء والمعوزون، وبالتالي لا حيلة لهم في سداد مصروفات هذا النوع من التدريب، إلا أن أنواعاً من التدريب تتزايد الحاجة إليها كالتدريب على أجهزة الحاسوب وصيانة الأجهزة الإلكترونية وغيرها، وهذا النوع من التدريب يقبل عليه المقبلون، ويدركون ضرورة أن يدفعوا تكلفة دراستهم.

إن تجربة تقديم خدمة التدريب المهني بالطريقة المجانية التي ظلت تُقدّم بها. ربما كانت واحدة من الأسباب التي جعلت الكثيرين يعزفون عن ارتيادها، أو أن يتعامل معها مرتادوها بغير الجدية المطلوبة. هذا فضلا عن أسباب أخرى لم تساعد على الإفادة من هذا البرنامج.

نحن هنا ندعو للنظر إلى موضوع التدريب المهني نظرة جديدة تلبي حاجات المجتمعات الإفريقية وتغطي مصروفات المستثمر.

مراكز البحوث والدراسات:

تلعب مراكز البحوث والدراسات والمعلومات دوراً مهماً في دعم مراكز اتخاذ القرار في الدول المختلفة في المجالات كافة. وحظ إفريقيا من هذه المراكز مازال محدوداً وغير فعّال. ونحن إذ ندعو لاقتحام هذا المجال نظن أن تطوير البحوث والدراسات في مجال السياسة والاقتصاد

والاجتماع، ومجالات العلوم التطبيقية المختلفة المتعلقة بالصحة والزراعة والتعدين، وغيرها ستكون مشروعات ذات أثر كبير في تنمية إفريقيا ومستقبل أجيالها.

خاتمة

إن الدعوة للاستثمار في هذه المجالات ينبغي أن ينظر إليها في إطار المقدمات التي أشرنا إليها في صدر هذه الدراسة، على أن تقوم ـ حال تنفيذها ـ على دراسات جدوى تفصيلية. وإن كانت حكومات الدول العربية ومنظمات النفع العام المدنية قد أسهمت خلال الحقب الماضية، فإن دعوتنا لدخول عنصر الاستثمار ورأس المال الخاص لا يعني خروج المساهمات الرسمية والشعبية الطوعية، ولكن يمكن أن ندعو هنا إلى توزيع الأدوار، فبدل أن تقوم المؤسسات الرسمية والطوعية بكل الأعمال مثل إنشاء المدرسة والجامعة وداخليات الطلاب والمكتبات العامة ومطابع الكتب، وتشرف على تأسيس كل ذلك وتمويله وإدارته، يمكن أن يقوم رأس المال الخاص بإنشاء هذه المؤسسات، على أن تقوم المؤسسات الرسمية والطوعية بشراء الخدمات التي يقدمها رأس المال الخاص، شريطة أن تقدم بأفضل الطرق، وأن تكون متاحة لمشترين آخرين من المجتمع، بهذا يمكن أن نضمن دخول رأس المال وهو مطمئن لوجود مشترين، ونضمن خدمة ممتازة، ونضمن إدارة تقوم على أساس الربحية والمنافسة الحرة. عليه يمكن أن ينمو سوقاً مستقبلاً يساعد على تقليل الدعم المجاني، والانتقال بهذا الدعم من المجتمعات المكتفية إلى المجتمعات المحتاجة.

أما أهم ما ينبغي أن تقوم عليه هذه المشروعات، وهو ما ينبغي أن تتضافر عليه الجهود وتنعقد عليه المواثيق، أن تقوم هذه المؤسسات والمشروعات لرعاية الرسالة الأساسية للأمة العربية والإسلامية في إفريقيا، في إطار رؤية كلية إستراتيجية. وخير من يعد لهذه الرؤية الكلية هو مؤسسة محترمة مثل اتحاد الجامعات الإسلامية، ويمكنها أن تنتدب لذلك فريق عمل من كفاءات في مختلف التخصصات والتجارب.

المـراجـع

١- ابن خلدون. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم. (البربر) ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط٣، ١٩٦٧م.

٢- د. أحمد فهمي جليل. دراسات الجدوى، مطبعة عابدين طه، القاهرة ١٩٧٩م.

٣- حسن مكي محمد أحمد، السياسات الثقافية في الصومال الكبير، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم ١٩٩٠م.

٤- دبونا ماريوف، سياسة إسرائيل في إفريقيا الاستوائية، ترجمة عبدالكريم اللبني، منشورات وزارة الثقافة، دمشق ١٩٨٥م.

٥- رفعت المحجوب، الطب الفعلي، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧١م.

٦- روبرت هيلبرونر، الاقتصاد في خدمة المجتمع، ترجمة محمد ماهر، دار الكرنك ١٩٦٥م.

٧- زبيذنييف بريجنسكي، رقعة الشطرنج العظمى، ترجمة سليم أبراهام، دار علاء الدين. دمشق ٢٠٠١م.

٨- صفي الدين المباركفوري، الرحيق المختوم، جمعية إحياء التراث الإسلامي، الكويت ١٩٩٨م.

٩- صمويل هنتنغتون ، صِدَام الحضارات، ترجمة مالك عبيد ومحمود محمد، الدار الجماهيرية، مصر ١٩٩٩م.
١٠- عبدالرحمن أحمد عثمان، المؤثرات الإسلامية والمسيحية على الثقافة السواحلية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم ٢٠٠٠م.
١١- عبدالرحمن عمر الماحي، الدعوة الإسلامية في إفريقيا، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة ١٩٩٩م.
١٢- عبدالسلام محمد هارون، تهذيب سيرة ابن هشام، مكتبة السُنّة، القاهرة ١٩٨٩م.
١٣- عبده كاسوزي ، قصة انتشار الإسلام في يوغندا، ترجمة عبداللطيف سعيد، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم ١٩٩٥م.
١٤- عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين، القاهرة ٢٠٠٠م.
١٥- عمر أحمد سعيد وعبدالقيوم عبدالحليم، الشيخ عثمان بن فوديو، بحوث الندوة العالمية احتفاء بذكرى بن فوديو، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم ١٩٩٦ .
١٦- فضل كلود الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس ١٩٩٨م.
١٧- قطب مصطفى سانو، النظم التعليمية الوافدة في إفريقيا، كتاب الأمة، الدوحة ١٤١٩هـ.

١٨- ك مادهو بانيكار ، الوثنية والإسلام في غرب إفريقيا، ترجمة أحمد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨م.

١٩- كمال محمد عبيد، رسالة إلى الشباب المسلم في إفريقيا، مجمع الفقه الإسلامي، ط٢، الخرطوم ٢٠٠١.

٢٠- كمال محمد عبيد، العلاقات السودانية التشادية وأثرها في نشر الثقافة العربية الإسلامية، دار جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم ٢٠٠١م.

٢١- المبروك البهلول الطيف، الإسلام في إثيوبيا، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس، بدون تاريخ.

٢٢- د. محمد بن عبدالله السلومي، القطاع الخيري ودعاوى الإرهاب، كتاب البيان، الرياض ١٤٢٤هـ.

٢٣- د. محمد خليل برعي، ود. علي حافظ منصور، مقدمة في النظرية الاقتصادية، جامعة القاهرة ، القاهرة ١٩٩١م .

٢٤- محمد زكي مسير. العلاقات الاقتصادية الدولية. دار النهضة العربية ١٩٧٠م.

٢٥- محمد سالم الصوفي، جيبوتي والمصالحة الصومالية، مركز الخليج للخدمات الإعلامية، الدوحة ٢٠٠١م.

٢٦- محمد سعيد القشاط، صحراء العرب الكبرى، مؤسسة ذي قار ١٩٩٩م.

٢٧- محمد سعيد القشاط، الطوارق: عرب الصحراء الكبرى، مؤسسة ذي قار ١٩٩٩م.

٢٨- محمد صالح أيوب، جماعات التحديث الاجتماعي في وسط إفريقيا، المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر، طرابلس ١٩٩١م.

٢٩- محمد صالح أيوب، الدور الاجتماعي والسياسي للشيخ عبدالحق السنوسي في دار وداي، جمعية الدعوة الإسلامية، طرابلس ٢٠٠١م.

٣٠- محمد صالح أيوب، مجتمعات وسط إفريقيا بين الثقافة العربية والفرانكفونية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، سبها ١٩٩٢م.

٣١- محمد عثمان علي خير، عروبة إرتريا حقائق ووثائق، دار الجيل، دمشق ٢٠٠٢م.

٣٢- محمود عثمان إيلوس، إريتريا ومشكلة الوحدة الوطنية، دار جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم ٢٠٠٣م.

٣٣- محمود يوسف موسى، القبيلة وأثرها في السياسة الصومالية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم ١٩٩٩م.

٣٤- محي الدين عبدالحليم، إشكاليات العمل الإعلامي، كتاب الأمة. الدوحة ١٤١٩هـ.

٣٥- د. منصور محمود أبو بكر، و د. معالي فهمي حيدر، دليل إعداد دراسات جدوى المشروعات، الدار الجامعية، الإسكندرية ٢٠٠٠م.
٣٦- مهدي ساتي صالح، مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال، المركز الإسلامي الإفريقي، الخرطوم ١٩٩١م.
٣٧- ندوة التعليم الإسلامي في إفريقيا، تحرير د. عبدالرحيم علي، وعبدالقيوم عبدالحليم، إصدارات جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم ١٩٩٢م.
٣٨- ندوة التنصير والتغلغل الاستعماري في إفريقيا، تحرير حسن الناطق وتاج السر بشير، إصدار جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم ١٩٩٩م.
٣٩- هاشم محمد علي، كتاب البدر المنير في ذكر قبائل وسيرة آل بني علوي في جزر القمر، كتب خانة الإسلامية، الهند ٢٠٠١م .
٤٠- ياسر عبدالقادر، التغلغل الصهيوني في إفريقيا، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم ١٩٩٨م.
٤١- يوسف بريمة، تشاد الدولة العربية المجهولة، بحث غير منشور.

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة



سيرة ذاتية

الاسم : كمال محمد عبيد

تاريخ الميلاد: ولد عام ١٩٥٣م بقرية أم درق ريفي كريمة، الولاية الشمالية .

الدراسة الجامعية:

- بكالوريوس الاقتصاد - جامعة القاهرة بالخرطوم - ١٩٧٨م .
- دبلوم الاقتصاد الإسلامي - جامعة أم درمان الإسلامية - ١٩٧٩م .
- دكتوراة الدعوة - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - ٢٠٠٠م.

العمل:

- معلم بمدارس التعليم العام - ١٩٧٤ وحتى ١٩٧٩م.
- موظف بإدارة القوى العاملة بوزارة العمل - ١٩٧٩ وحتى ١٩٨٢م.
- عمل بشعبة الدعوة بالمركز الإسلامي الإفريقي - ١٩٨٢ وحتى ١٩٩١م.
- مدير مركز الدعوة وتنمية المجتمع بجامعة إفريقيا العالمية - ١٩٩٨م وحتى ٢٠٠٠م.
- عميد المركز الإسلامي الإفريقي بجامعة إفريقيا العالمية - ٢٠٠٠ وحتى ٢٠٠٣م.
- عميد كلية التربية بجامعة إفريقيا العالمية .
- رئيس جمعية الصداقة السودانية التشادية .
- رئيس اللجنة المشتركة لتنمية الشريط الحدودي بين السودان وتشا
- مؤسس ورئيس تحرير مجلة "دراسات دعوية" - ١٩٩٨م وحتى ٢٠٠

صدر له :

١/ رسالة إلى الشباب المسلم في إفريقيا - ١٩٨٧م.
٢/ العلاقات السودانية التشادية وأثرها في نشر الثقافة العربية الإسلامية

شركة مطابع السودان للعملة المحدودة